

الفصل السادس

أحداث بلاط الشهداء

بواتيه *poitiers*



١ - الحملات الاولى بعد ٧١٤

٢ - حملة السمع الحولاني ٧٢١

٣ - حملة عنه الكلبي ٧٢٥

٤ - حملة عبد الرحمن الفافقي ٧٣٢

الحملات الإسلامية في فرنسا (معركة بلاط الشهداء)

أحداث بلاط الشهداء (بواتيه Poitiers)

لا تمدنا المصادر الأندلسية بمعلومات واضحة او تفصيلات شافية عن هذه الواقعة ولا تلقى عليها غير ضوء خافت ولم تحدد لنا موقع الميدان الذي دارت فيه أحداث معركة بلاط الشهداء بدقة فمراجعتنا الأندلسية والإسلامية عموما لم تفصح عن ذلك لكنها ذكرت أن المعركة دارت في بلاد الفرنجة وسمت الموضع بلاط الشهداء، ويذكر أن الغافقي استشهد في موضع يقع بين مدينتي تور (Tours) وبواتيه (Poitiers) على بعد ٢٠٠ كيلو متر جنوب باريس وقد كان اللقاء على بعد ٢٠ كيلومتر شمال (بواتيه) في الطريق إلى تور وجنوبي مجرى اللوار في موضع قريب من طريق روماني قديم هو المسمى بالبلاط وفي هذا الموضع قرية تسمى الآن مواسية لاباتاي Moissias La Batille وربما كان موقعها يحدد مكان المعركة .

وقد دارت المعركة بالقتال الشرس أكثر من أسبوع طوال عشره أيام مما يدل على إنها كانت معركة حامية الوطيس والحق أن كلا الجانبين بذل أقصى ما في وسعه في القتال وصبر المسلمون صبرا طويلا حتى تجمعت عليهم القوات الأوربية من كل ناحية فلم يقتصر الأمر على الفرنجة بل كان هناك كثيرون من أجناس جرمانية أخرى ، وآخر مراحل المعركة كان هجوما على المؤخرة للجيش الإسلامي وصولا إلى القلب فتزعزع نظام الجيش وحدثت ثغرات استطاع الاعداء النفاذ منها إلى القلب وفي ذلك الوقت استشهد القائد عبد الرحمن الغافقي بسهم أصابه بمقتل وقد كان هذا نذير الهزيمة لوفاة القائد وذلك بعد أن تحركت بعض القوات الإسلامية تجاه المؤخرة لمحاولة صد الهجوم الخلفي لاسيما أن الدوق أودو حاكم كونتيان الذي هزمه المسلمون كان الساعد الأيمن لشارل مارتل قد قاتل المسلمين مرارا وعرف نقط الضعف لديهم وأراد أن يعمل على استغلالها مكان الهجوم على المؤخرة وحدث خلل في تنظيم القوات الأمر الذي استدعى سحب بعض القوات من المقدمة والميسرة لصد الثغرة التي أحدثتها قوات الفرنجة لكن تقدم الفرنجة كان أسرع نظرا لوصولهم إلى قلب المعركة حيث المكان الذي كان يقود منه عبدالرحمن الغافقي قواته المتقدمة وأصيب القائد الشهيد بسهم قاتل وأحدث وفاته ارتباكاً

شديدا بين القوات عندما علمت بنبا استشهاده وكان الاخرى على هيئة قيادة القوات وكبار المستشارين أن يكتموا خبر استشهاده عن جنوده حتى ينجلي الموقف لمصير المعركة لكن خلافا حدث بين هيئة القيادة وكبار القواد وكان قرار الانسحاب لوفاة القائد وقد استمر القتال مع ذلك حتى هبط الليل فتحاجز الفريقان وانتهزت فلول المسلمين الفرصة فتسللت من مكان المعركة تحت الظلام فلما أصبح الفرنجة لم يجدوا للمسلمين أثر ولكنهم وجدوا ذخائر عظيمة فانتهبوها ولم يفكروا في تتبع المسلمين واستطاعت البقية الباقية من القوات الإسلامية الانسحاب إلى أرجونه.

وهناك بعض التعليقات التي تبين أسباب الهزيمة للقوات الإسلامية والتي منها القول أن الغافقي كان قد تجاوز مسافة بعيدة من مكان المعركة حيث عسكر في أراضى (بواتيه) بعيدا عن القاعدة قرطبة حيث لم تكن قادرة على إمدادة بالقوات فكيف للقواعد العسكرية الأخرى كالقيروان والفسطاط ودمشق ان تلبى حاجاته في هذا المجال أما نقطة الضعف التالية فكانت تكمن في عدم الانسجام بين عناصر المقاتلين حيث كانت تسود روح العصبيّة الحزبية فالمقاتلون من البربر افتقدوا ذلك الإندفاع المتماسك المتعاون الذي تجلّى في معارك الفتح في اسبانيا حيث كانت بذور النقمة على التسلط العربي تأخذ طريقها إلى نفوسهم وإن كان ذلك شعور غير علني ذلك لأن الغافقي استطاع بشخصيته القوية المتحررة من رواسب العصبيّة أن يستقطب هذا العدد الكبير من المقاتلين وأن يمتص حساسيتهم إلى حد كبير لكن كما تذكر بعض الأقوال فإن غالبية البربر لم يتحمسوا أكثر للمعركة وتطلّعوا إلى الانسحاب من ميدان المعركة اكتفاء بما وصلوا إليه من مد إسلامي في هذه الأراضي حماية للقوات من سلبات الصمود وخسارة كل شيء ولكن عبد الرحمن الغافقي لم يكن يدور في خلد سوى الغزو وهو القائد المدرب الحبير بقتال هؤلاء القوم ولم تكن فكره الانسحاب في معرض المناقشة مع هيئة أركانه ومستشاريه ومجلس الحرب الذي كان يضم كبار القواد لأن هذه الفكرة لم تكن تسمح لها بالظهور أو السماح لأحد من المستشارين أن يفكر في ذلك وقد تكون هذه من بنات أفكار

المؤرخين الأوروبيين لأن معنى ذلك الإستهانة بكل الإنجازات التي تحققت فى فرنسا شمال جبال البرانس والعودة إلى نقطة البدء ولو أن هذه الحملة كانت مجرد غزوه مثلها مثل ماسبققتها من غزوات عنيسة الكلبى أو السمع بن مالك الخولانى لكانت فكره الإنسحاب راقى له وتخلّى عن تلك المدن والأقاليم التي سقطت فى يده ولكنه أثر أن يمضى فى المعركة حتى النهاية دون أن يفقد الإيمان بالانتصار وتثبيت رايات الإسلامى فى قلب فرنسا وهو الذى كان يطمع فى السيطرة على كل اراضى فرنسا وفى اواخر شعبان ١١٤ هـ اكتوبر ٧٣٢ م. درات أحداث المعركة وحقق المسلمون انتصارات أوليه وكاد أن يكون الظفر النهائى لهم لولا خطأ فى عدم تغطيه المؤخرة وكانت النتيجة سقوط القائد البطل بعد قتال عنيف وطويل دام عشرة أيام وقيل أكثر من أسبوع. وقد سميت هذه المعركة فى المصادر العربية باسم (بلاط الشهداء) حيث أن التسمية لها علاقة بالمكان الذى كان على الأرجح اطلال قصر قديم فكلمة بلاط هنا مرادفه للقصر وليس لاشتقاق آخر بمعنى الطريق المبلط او المرصوف ويحمل المكان حاليا اسم (موسه لاباتاي Movssais labataille) وكانت معركة البلاط فى غاية الأهمية حيث ظلت لها أصداء خاصه فى العلاقات بين المسلمين الأوربيين وحولها تمحور الصراع العسكرى العقائدى بين الطرفين خلال الأجيال القادمة..

ومن ذلك ما تشهده هذه الأيام فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين وظهور نغمة بلاط الشهداء (بواتيه) وتخوف أوروبا من خطر الإسلام الأصولي (السلفي) الزاحف الذى بدأ يشكل قوة حقيقية فى البلاد العربية والإسلامية ولاسيما دول الشمال الأفريقي القريية من جنوب أوروبا من هنا ارتفعت صيحات الأجيال المعاصرة (١٩٩٤) تطالب بتوحيد أوروبا لصدا (بواتيه) جديدة وكان شارل مارتل جديد فى صوره (هيلموت كول) رئيس وزراء المانيا الذى قال فى حديث له إن المسلمين الاصوليين إن امسكوا بزمام القيادة السياسية فى الجزائر وإذا قدر لهم وتملكوا صواريخ متوسطة المدى فإنهم سوف يهددون جنوب أوروبا (هذا هو شارل مارتل فأين عبد الرحمن الغافقي فى العصر الحديث)

وقدم المسلمون فى هذه المعركة تضحيات غالية فى سبيل مد راية الإسلام إلى تلك البقاع وان كانت لم تصل معلومات وافيه عن هذه المعركة فإن ذلك يعود فى المقام الأول إلى فقد وضياح المؤلفات والمخطوطات الإسلامية فى حركة الاسترداد الأسبانية التي عملت على التخلص من كل ما هو إسلامى ومن هنا ضاعت هذه المؤلفات الإسلامية التي تتحدث عن هذه المعركة.

لكن مايمكن استنتاجه عن هذه الاحداث ان عدد القوات الاوربيه والفرنجيه كان يفوق كثيرا الجيش الإسلامى ولاشك ان شارل مارتل قد استنجد بكل الدول والإمارات والأقاليم الأوروبية وأنه استعد استعداد كافيا واعد للأمر عدته وخطط له مبكرا وكان يراقب تحركات المسلمين المستمرة فى الاراضى الكبيرة منذ سنوات .

هذا الى جانب العديد من العوامل الأخرى ومنها طبيعه الأرض والجو والقتال والدفاع عن ديارهم وغيرها من العوامل الأخرى التي كانت لاشك فى صالح المعسكر الفرنجى لاسيما أن المعركة دارت فى جو مطير وارض موحله وتلال وعرة حيث جرت معركة بلاط الشهداء . وإذا أعتبرت خساره المسلمين جسيمة فى معركة بواتيه Poitiers بحيث انها قضت علي تصميمهم على اجتياح كل القاره الأوروبية وعدم اقتناعهم بما وصلت إليه أيديهم من مواقع على السفوح الشمالية لجبال البرنيه (البرانس) فكره خاطئه فان هناك محاولات غزو أخرى تتكلم عنها .

لقد تحدث كثيرا من المؤرخين والباحثين الأوروبيين عن مكان المعركة ولكنهم لم يتفقوا عن مكان التجديد فقد اجمع رنيو Reinad ، كندى conde كودير Codera ان المعركة دارت فى المنطقه الواقعه بن مدينتى تور Tours على نهر اللوار Loire وبواتيه Poitiers على نهر Clan كلين وفروعه راقد فى Vienne والمسافة بين المدينتى حوالى ٩٠ كيلو متر لذلك تسمى المعركة فى المصادر الأوروبية باسم إحدى المدينتى تور أو بواتيه فقد ذكر أنها بدأت عند مدينة تور كما ذكر أنه الميدان الذي اشتد فيه وطيس القتال قرب بواتيه ، وحيث أن المعركة استمرت مايقرب من عشرة أيام وأنه ربما حدث بعض التحرك فى تغير المواقع خلال هذه الفترة كما ادعى أن تكون معركة تور أو بواتيه . كما ذكر أن ميدان المعركة كان قرب طريق رومانى قديم

يصل بين بواتيه ومدينة Chatelleranit شاتلرو على نهر فيتى فرع من اللوار وبينهما حوالى ٣٠ كيلو متر فى مكان يبعد حوالى ٢٠ كيلو شمال شرق بواتيه ويحتمل أن تكون الأحداث النهائية التي حسمت المعركة لصالح قوى أوربا قد دارت فى المكان المسمى حالياً (موسه لابتاي Moussaiss La Bataille وربما فى قرية خندق الملك Fosse la Roi وفى قرية واقعه بين مدينتي تور وبواتيه وقد اكتشفت فى تلك القرية حديثا حفريات نمت فى هذا المكان عن العديد من السيوف العربيه التي ربما تكون من أثر المعركة فلعل موضع هذه القرية ضمن ميدان معركة بلاط الشهداء كما أن بعض المصادر تذكر أن أحداث هذه المعركة قد دارت فى رمضان ١١٤ هـ (أكتوبر/ نوفمبر ٧٣٢م وربما الإنسحاب والقتال والتقدم طوال عشرة أيام قبل أحداث المعركة تدور بين هذه المدن وقد تغنت المصادر الأوربية بهذا الإنتصار واوعزت السبب بما يتلائم وفكر الإنسان الأوربى عن حركة المد الإسلامى وركزت على أن أسباب الهزيمة تعود إلى كثرة الغنائم وأن الحملة كانت مجرد غزو يستهدف اشباع شهوات الجند بالغنائم فقط وأن تلك الغنائم أثقلت الجيوش الإسلامية والتي كان يضعها فى المؤخرة وأن الدوق اودو دوق اكتانيه هو الذى دل جيش شارل مارتل على مكان الغنائم حيث كان الجيش الإسلامى مثقلا بالغنائم وأن من عادة العرب والمسلمين ان يحملوا غنائمهم معهم فيحتفظون بها فى مؤخرة الجيش مع حامية قليلة العدد تقوم بالحراسة والحفظ وأن بودو أراد ان يشغل المسلمين من ناحية الغنائم لعل ذلك يخل نظامهم أثناء القتال ولذلك قام بحركة الالتفاف السريعة بمهاجمة مؤخرة الجيش الإسلامى حيث الغنائم وحدث ما قدره بودو فقد اختل نظام الجيش الإسلامى فتراجعت بعض القوات لانقاذ الغنائم بينما استمر القتال فى مقدمه (روايه مؤرخين اوربين لجعل اسباب الفتح الغنائم والأسلاب) وأن جيش شارل مارتل التف من الخلف لكى يستولى على هذه الغنائم مما أحدث ارتباكاً وفوضى فى المعسكر الإسلامى حيث انصرف الجند للدفاع عن المكتسبات المادية وتركوا أمر الدفاع والقتال وحدثت حالة من الفوضى استطاع الفرنجة من خلالها أحداث عده ثغرات فى صفوف الجند الإسلامى ووصلوا إلى القلب حيث قتل الغافقي وتلك صورة معاكسه على الإطلاق للروح الإسلامية التي تتحرك لنشر الإسلام وسعياً

لإنقاذ أوروبا من ظلم النبلاء وتحكم رجال الإقطاع وسيطرة رجال الدين وصكوك الغفران وتحكم الكنيسة وسيادة الجهل والتخلف والبدائية وليس سعي وراء الغنائم والأموال وفصة الغنائم فى مؤخرة الجيش قصة وهمية لاتمت لروح الإسلام التى تعمل فى سبيل الجهاد وإعلاء شأن الإنسان وهدايه البشرية لاسيما أن الجو العام للمعركة كان يشير لرجحان كفة المسلمين فى بداية لكن عندما اشتد القتال واستشهد الغافقي حيث كان الجيش الإسلامى مستمراً فى القتال وقتل كثيرا من الفرنجية وكانت الأيام الثلاثة الأولى فى المعركة فى صالح الجند الإسلامى لكنه من بداية اليوم الرابع من القتال استشهد القائد مما هز من قدرة المقاتلين فى الاستمرار فى دحر الفرنجية وتحول القتال لصالحهم بمجرد إعلان نبأ مقتل القائد وكان ذلك السبب المباشر فى انسحاب الجيش الإسلامى ولعل ترك الجيش الإسلامى لمعسكرة كما هو بخيامه ومعداته جعلت الفرنجية عند انبلاج الفجر يشعرون أن الجيش الإسلامى لا يزال فى مواقفه لاسيما أن نار Fire المعسكر كانت لاتزال مشتعلة والخيام منصوبة فى مكانها وهذا يعكس قدره الجيش على الإنسحاب المنظم والمحكم والقدرة الفائقة على التمدية لاسيما بعد أن أستطاع حمل قتلاه وكان هذا الإنسحاب دليلا على الإنضباط وسرعة الحركة والقدرة على المناورة والتعتميم على العدو بعدم معرفة ميعاد الإنسحاب وكيفية تحرك القوات الإسلامية فى اتجاه إلى الجنوب أو فى أى الإتجاهات تحركت هذه القوات التى لا يمكن أن تكون أقل من خمسين أو أربعين ألف جندى لأن عدد القتلى لم يصل إلى عشرة آلاف من الجانب الإسلامى وإن كان عدد القتلى فى الجانب الأوروبى أكثر بكثير لاسيما أن الانتصار كان فى البداية لصالح المسلمين لكن المعارك تقاس بما تكون عليه النتيجة النهائية ولصالح أى من الأطراف المتصارعه لكن أوروبا هولت من شأن هذه المعركة ورسمت حولها اساطير وقصص وروايات خياليه وبالفواقي القول بأن هذه المعركة قد أوقفت الزحف الإسلامى للأبد ونهائيا عن أوروبا وأن المد الإسلامى قد توقف عن الاستمرار والتقدم السريع داخل أراضى فرنسا وأن المسلمين لن يستطيعوا التقدم شمالا بعدما كان فى بواتيه أو تور بل إنهم اعتبروا أن المعركة كانت حاجزا

أنقذ أوروبا لكن الصورة كانت بالعكس لأن الزحف الإسلامي لو حقق أهدافه لتطورت أوروبا وبكرت حركته النهضة الأوروبية بعده بعدة قرون بدلا من القرن الخامس عشر وهكذا كما تصورا فإن نتائجها كانت منعطفًا تاريخيًا على قدر كبير من الأهمية فقد تم إنقاذ أوروبا من خطر الإسلام على يد شارل مارتل (حسب التصور الأوروبي) في مملكة الفرنجة والذي استحق عن جداره لقب المطرقة التي سحقت قوه العرب والمسلمين في فرنسا وباعدت بينهم وبين التقدم خطوات مستقبلية في هذه الأماكن مرة أخرى (أقوال ليفي بروفنسال) وهو الاسم الذي أطلقه عليه البابا (جريجوري الثالث) حيث باركت الكنيسة البابوية في روما هذا الانتصار العظيم وهلت أوروبا عن بكرة أبيها لهذا الانتصار ودقت الكنائس أجراسها في كل دول أوروبا تبارك هذا الانتصار وحقق شارل مارتل هدفه في وقف الطوفان الإسلامي الذي اكتسح إسبانيا في أقل من أربعة أعوام وكاد يسقط مملكة الفرنجة ونفق هنا وقفه قصيرة لكي نرد على الذين مجدوا معركة بلاط الشهداء (بواتيه) من المؤرخين الأوروبيين ونقول لهم إن شارل مارتل لو انتصر نصرا حماسا كما تقول مصادرهم على المسلمين فما الذي منعه من التقدم نحو الجنوب ومطاردة المسلمين الذين انسحبوا جنوبا إلى الأندلس والاستيلاء على باقي الممتلكات الإسلامية في جنوب فرنسا لو أنه كسر شوكة المسلمين كما تقول تلك المصادر فكيف استطاع عبد الملك بن فطين القهري الذي آلت إليه القيادة (١١٤-١١٦هـ) بعد عبدالرحمن الغافقي ومن بعده يوسف الإندفاع إلى الشمال لتوطيد نفوذ المسلمين في هذه الأراضي وما الذي دفع جند أربونه بعد المعركة مباشرة بالسير شمالا والاستيلاء على أراضي فرنسيه جديدة وفتح تلك الأقاليم مرة أخرى ولم يستطع شارل مارتل أن يحرك قواته أثناء هذا التقدم الإسلامي في جنوب إمبراطورية الفرنجة ولم يفكر في السير للقاء الزحف الإسلامي القادم من الجنوب أو على الأقل إرسال أحد من فرقته الحربية لمقاتلة المسلمين ولكن اكتفى بما حدث في بواتيه وخاف الدخول في قتال مع المسلمين بعد أن شهد لهم بالبساله والصبر والشده والفراسة في القتال والقدرة على التحرك السريع ، ولكن الظروف خدمته

فى هذه المعركة ورغم ماعرف من حب شارل فى ضم الاراضى وتوسيع
امبراطوريته وطمعه فى توطيد سلطانه (محمد محمد الشيخ دوله الفرنجه وعلاقاتها
بالامويين بالاندلس الاسكندريه طبع ١٩٨١م) وقد تكون كل هذه الاسباب هي
التي دفعت المسلمين الى اخذ زمام المبادرة والقيام بتوطيد النفوذ الإسلامى فى
الاراضى التي تم الإستيلاء عليها من قبل.

وتقول أن الذى دفع شارل مارتل إلى عزوفه عن مقاتلة المسلمين وتجنبه اللقاء
معهم بعد معركة بلاط الشهداء هو أنه ذاق مرارة الحرب معهم وعرف قوة إيمانهم
وجلدتهم وصبرهم وقدرتهم على القتال فصار بعد ذلك يتجنب الدخول فى معركة
واسعة معهم ويخشى اللقاء معهم فى معارك كثيرة وقدر رأيناه يتخوف من تتبعهم
بعد الانسحاب ولو أنه لمس فى نفسه قدره لقام بمهاجمة موخرة الجيش المنسحب
لكنه اكتفى بما حصل عليه من اسرى (ثلاثة آلاف أسير والغنائم الخاصة
بالمسلمين).

وأنعمت البابوية على شارل بلقب مارتل (Martel) وصار يعرف به وبما يحمله
من ملامح صليبه ظاهره. ولم بجانب الصواب كتابات المؤرخين الأوروبيين حيث
انحازت عن جاده البحث العلمى وضخمت الحدث بتصورات مبالغ فيها دون إدراك
الأحداث الداخلية فى المغرب والاندلس والشام وما كانت تمر به الخلافة الاموية
فى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) من تغيرات جوهرية.

لكنها تحدثت عن مستقبل القارة الأوروبية إذا ماكتب لمعركة بواتيه أن تنتهى إلى
غير صلح الأوروبيين ذلك لأن المد العربى الإسلامى فى اوربا المسيحية قد وصل
الى ذروته فى معركة بواتيه ولم يكن هنالك من سبب يدعو المسلمين الى التوقف
لو حالهم النجاح فكل الدلالات تشير إلى أنهم لو حققوا انتصاراً فى تلك المعركة
فكان اصرارهم على التقدم والمضى فى الخطة التوسعية الى النهاية واطواء كل
اوربا تحت لواء الإسلام ورايه القرآن الكريم.

ولقد قال احد المؤرخين الأوروبيين (Gibbon: Roman Empire) أن معركة بواتيه
انقذت أباؤنا الإنجليز وجيواتنا الفرنسيين من نيران القرآن المدنى والدينى وأنه
لوحق المسلمون، انتصاراً فى هذه المعركة لرأينا القرآن يدرس فى اكسفورد

والسربون. لكن المعركة حفظت جلال روما وأخرت استعباد القسطينطينية وشدت
بآزر المسيحية وأوقعت بأعدائها التفرق والفشل وحدث بينهم الصراع العنصري
والقبلي.

ويؤكد جوستاف لوبون في كتابه حضاره العرب أن معركة بلاط الشهداء
(بواتيه) لم تبضع حدا لتقدم الغرب كما يزعم كثير من المؤرخين بل أن المسلمين
سرعان ماأفاقوا من هول الهزيمة واخذوا يستردون مراكزهم السابقة لاسيما ان انباء
المعركة عندما تردد صداها ببلاد المغرب حيث العاصمة القيروان وعندما بلغ (عبيد
بن عبدالرحمن السلمي) والوالى الأموى على المغرب فقد تم تعيين حاكم للأندلس
فورا هو عبد الملك بن فطين الفهري. فأسرع هذا إلى أرجونه (أربونه). وفي
الطريق أعاد الهدوء الى املاك المسلمين فى جبال البرت وجنوب فرنسا وتثبيت
سلطان المسلمين فى سيطيمانيه وفى جبال البرت وعقد معاهدات مع نفر من الرؤساء
الذين خلفوا الدوق اودو فى حكم نواحي اقطانيه وتمكن فى وقت قصير أن
يتلافى الكثير من الآثار السيئه التي تخلفت عن هزيمة البلاط. وقد سلم حاكم
مرسلها مقاطعه البروفانسى إلى المسلمين. وهكذا أصبح إتخاذ القرارات بمبادرات
توسعية جديدة فى أوروبا امر يحيط به الكثير من الشكوك ولكن تمسك المسلمين
بمكتسباتهم فيما وراء السفوح الشمالية لجبال البرثيه أصبح امرا واقعا ولا بد من
الحفاظ عليه انطلاقا إلى رحلة أخرى عندما تسمح الظروف أن قول بعض المؤرخين
عن هذه المعركة أنه لو قدر لعبد الرحمن عبدالله الغافقي وجيشه بالانتصار لرأينا
القرآن الكريم يتلى ويدرس فى جامعات الغرب (كمبردج واكسفورد والسربون) أى
أن هذه البلاد كانت ستصبح مسلمة لكن عندما أفاقت أوروبا على الحضارة الإسلامية
فى الأندلس وصقلية وجنوب ايطاليا ادركوا خطأ هذه الأقوال واعتبروا ان توقف
الزحف الإسلامى فى معركة بلاط الشهداء كانت نكبه كبيره أصابت أوروبا بضربة
عنيفة حرمتها من الحضارة الإسلامية وأن الإنتصارات كانت نكسه عليهم. إن الذى
ينظر إلى هذه الأقوال والكتابات الأوروبية عن واقعة بلاط الشهداء ورواياتها يدرك
مدى التحامل والكراهية والبعد عن الحقائق أو إهمالها أو تصورات خاطئه تعلق

خساره المسلمين فى واقعة بلاط الشهداء لاسباب لم يكن لها منها إلا محاولة الدس والوصول إلى التفرقة مثل القول بحدوث خلاف بين العرب والبربر، لكن الجميع قاتلوا بشجاعة فائقة وتحمس للدين والعقيدة لأن الإسلام لم يكن يفرق بين العربى والبربرى فالجميع سواسيه ولقد سبق ذلك فى المغرب والأندلس ولم تكن هناك حساسيه فى المعامله لكن غالبية المشتركين فى المعركة كانوا من البربر فليسمن المعقول أن تكون سيطرة القله على الاكثرية وان قصه (موسونه) عثمان بن أبى نعهس الخشعمي لم تكن لبنى عليها مثل هذا الافتراض وأن استشهاده الغافقي كان من الأسباب القويه للانسحاب السريع لإنقاذ الجيش وعدم الاستمرار فى معركة ظهرت بوادر صعوبة الاستمرار فيها بظروفها القاسية ، حتى إنه بعد استشهاد القائد الغافقي فإن الجيش الإسلامى كان مستمرا فى القتال ونال من الفرنجية رغم هذه الظروف لكن استشهاد الغافقي راد الموقف صعوبة ففضلوا الانسحاب ولعل تركهم الخيام منصوبه والغنائم فى مكانها مطروحة كما يقولون ولم تكن هناك غنائم ، ولكن روايات أوروبية تذكر أن الغنائم كانت سبب الهزيمة لأنه بسببها جرت حركة التفاف خلف المعسكر الإسلامى فتراجع بعض الجيش لحمايتها ومنع الفرنجية من الاستيلاء عليها كما كان السبب فى اختلال الجيش وفقده لتوازنه وتماسكه واستشهاد الغافقي وهزيمة الجيش وقصة الغنائم أسطوره لا اصل لها وهى تتعارض مع الهدف الإسلامى فى الجهاد ونشر الإسلام وإعلاء كلمة الدين وكان ترك الحامية القليله العدد لحمايه ظهر الانسحاب والخيام ما هو إلا تمويه وتضليل للعدو لم يدركها الفرنجية إلا صبيحة اليوم التالي وهم يستعدون للهجوم ، والانسحاب كان وفق خطة مدروسة خططت لها هيئة مستشاري القوات وأركان القيادة بعد استشهاد القائد الغافقي لكن قرار الانسحاب كان قرار القيادة التى تحملت المسئولية بعد استشهاد الغافقي لأن انسحاب هذه الأعداد الكبيرة ووصولها الى أرجونه يعنى أن قرار الانسحاب كان خطه تم ابلاغها للجميع لتنفيذ فى سرية تامة وفى جنح الظلام ليلا وان الانسحاب كان من الأسباب الأمنية لحماية بعض القوات التى كان لابد ان تنسحب لحماية شمال جبال البرانس ولم يكن نتيجة بوادر انكاسرية لأن الفرنجيه ومعهم الأوروبيين لم يستطيعوا التحرك خلف القوات المنسحبه ولو أنهم ادركوا

ضعف هذه القوات لكان قرار المتابعة قد صدر من شارل للقضاء على بقيه القوات المنسحبة لاسيما أن كتاباتهم قد بالغت مبالغه مفرطة فى كثرة القتلى فى الجيش الإسلامى . لكن فرصه الأوروبيين وكثره كنياتهم أن المد الإسلامى توقف عن الاستمرار والتقدم داخل الأراضى الفرنسية الذى كان متوقعا اطوائها تحت لواء الإسلام ذلك لأن الارادة الإلهية شاءت أن تكون هذه المعركة حاجزا دون اندفاع المد الإسلامى ليشمل القارة الأوربية كلها ولكن رغم وقوع هذه المعركة وتخوف المسلمين من الإنذفاع فى سهول فرنسا ورغم قصر الحديث عن هذه المعركة فى المصادر العربية حتى أنه لم يات ذكرها إلا فى سبعة سطور فى مصادر عربية متفرقة ورغم إفاضة المصادر الأوربية فى الحديث عنها وعن نتائجها وتوقف المد الإسلامى عن السيطرة واحتواء القاره الأوربية فاعتبروا المعركة حاجزا أنقذ أوروبا ومن هنا زادوا الحديث عنها والتحويل لاحداثها ونتائجها فى جو من التزوير والإفراء والمبالغة .

يعتبر المؤرخون الأوروبيين هذه المعركة من المعارك الفاصلة فى التاريخ الاوروبى فيذكر المؤرخ الاوربى (جيسون) أن العرب لو تحقق لهم الانتصار فى تلك المعركة لنتشرت المساجد فى باريس ولندن بدلا من الكاتدرائيات الآن وكان القرآن يقرأ ويتلى ويفسر فى اكسفورد وغيرها من المراكز العلمية فى انحاء اوربا المختلفه كما علق المؤرخ (جون دوايورت) فى كتابه العرب عنصر السيادة فى العصور الوسطى) على موقعة بواتيه فقال المرجح أن معركة بواتيه التي نشبت بين عبدالرحمن الغافقي وشارل مارتل بأواسط فرنسا وانتهت بتقهقر العرب كانت أعظم عامل على تقلص ظل الحضارة العربية عن الغرب ولو انتصر العرب فى هذه الموقعة الكبرى لكانت أوروبا اليوم عبارة عن مقاطعة عربية إسلامية بلاريب .

ولقد أسرف الفرنسيون فى تقديرا أهمية معركة بواتيه فذهبوا إلى أنها أنقذت حضارة غرب أوروبا ووضعت حدا لسيادة الشرق على الغرب والواقع أن هذه كلها مبالغات لايقبلها الحكم التاريخى الصحيح فلم يكن الفرنجة الذين تصدوا لرد المسلمين عن فرنسا بأصحاب البلاد بل كانوا غزاه اغاروا عليها وتملكوها بحد

السيف فإذا كان العرب المسلمون اغربا عن فرنسا فقد كان الفرنجة اغرابا ايضا وكانوا يحكمون البلاد بالعنف والقسوة حكما أجنبيا خالصا وكانوا يترفعون عن أهل غاله الاصلين ويعتبرونهم رعايا عليهم واجب الخضوع لهم ولم يكن الفرنجة الذين حاربهم المسلمون قد انتصروا للثقافة اللاتينية كما زعم مؤرخو الغرب فلم يكن هؤلاء الفرنجة يعرفون عن اللاتينية شيئا ومن هنا لم تكن موقعة بواتيه انقاذا للحضارة اللاتينية بقدر ماهي خسارة لعدم تقدم الحضارة الإسلامية فى ذلك الوقت من القرن الثامن الميلادى وفى الوقت الذى سلب المؤرخون الاوربيون المحدثون الاضواء على موقعة بواتيه أو بلاط الشهداء فإن المصادر التاريخية الإسلامية القديمة لم تهتم بها جانبا فهى لم تكن فى نظرها إلا غزوة لاتختلف عن الغزوات التى خاضها جند الإسلام من قبل فى فرنسا أو فى غيرها من البلاد التى خضعت للفتح الإسلامى ولم يزد ماجاء فى تلك المصادر عن هذه الموقعة عن سبعة أسطر مبعثرة على صفحاتها وربما يزيد عن ذلك وأن إجماع المؤرخين المسلمين عند عدم الاهتمام بهذه الموقعة مما يؤكد أن هذه الموقعة لم تؤثر على تطورات الأحداث تأثيرا كبيرا ولم تكن لها قيمة وزن على الاطلاق طوال العصر الوسط بدليل قيام الوالى عبد الله بن فطين الفهرى الذى ولى القيادة بعد استشهاد عبدالرحمن الغافقي (١١٤-١١٦هـ) بنشاط حربي خلف جبال البرانس (سوف تشير الى ذلك) أنظر

كتاب Mercier : Chares Martel et la Bataille de Poritiers

لكن قد يكون القاء الاضواء على هذه المعركة حديثا والذى صدر فى باريس عام ١٩٥٤م أن الأمر لايعدو أن يكون محاولة من جانب المؤرخين الاوربيين فى العصور الحديثه لتلمس أحداث من الماضي يربطون بينها وبين تاريخهم الحديث القصير العمر فى مجده وتطوره (انظر الاهرام (صحيفة) السبت ٢٩ / ١٠ / ١٩٩٤) حديث الاستاذ محمد حسنين هيكل وفيه تأكيد لما ذهب إليه المؤرخين الاوربيين فى العصر الحديث :

وكما سبق القول فإن القيام بحركة الالتفاف السريعة لمهاجمه مؤخره الجيش الإسلامى قد عملت على اختلال نظام الجيش يتراجع بعض القوات لحماية المؤخرة ووقف تقدم قوات الفرنجة وصولا للقلب فيما اكثر واستطاع الجيش الأوروبى فتح ثغره فى دفاع المسلمين والوصول إلى حيث القائد عبد الرحمن بن عبدالله الغافقى حيث استشهد فأصبح الجيش بلا قياده وقد وقع خلاف بين رؤساء الجند وهل الاستمرار فى القتال إلى نهايته أم الانسحاب وانتصر رأى الانسحاب وأضطر المسلمون إلى الانسحاب فى ظلام الليل دون أن يشعر بهم أعدائهم ولم يتعقب شارل مارتل فلول جيش المسلمين خشية أن يكون إنسحابهم تدبيرا لليقاع به فى كمين والقضاء عليه لكن مشروع غزو فرنسا لم يمت بنهاية عبدالرحمن الغافقى لكن المشروع ظهر مرة أخرى (الفصل السابع)

ولا غرو فقد كان من عادة الجيوش الإسلامية إنها كلما استعدت وتجهزت لفتح وتهيأت له أن يأمر قائد القوات الزاحفه ان ترافق الحملات نوعيات مختلفه من طوائف الشعب فى كل حرفه ومهنه لاسيما الحرف والمهن التى لها علاقة مباشرة بالقتال والجيش وخدمة القوات والحرب والعتاد الحربى والبناء والتشييد ورجال القانون والشريعة (ابرام المعاهدات) وجماعات الدين للوعظ والإرشاد والعلماء فى فنون صنع الأسلحة والبارود والطب والجراحة والصيدلة ورجال التاريخ العارفين بتواريخ الأمم ورجال الترجمة العارفين باللغات اللاتينية وعاداتها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية والاخلاقية لأن هدف المسلمين من جراء هذه الحملات ماكانت ترمى إلى بعث الارهاب وبث السيطرة والجبروت فى قلوب الناس وإنما كانت أهدافهم اسمى وأعلى من هذا كله فالمسلمون كما نعلم يحملون رساله قرآنية سامية تهدف إلى نشر لواء الحضارة الإسلامية والنور والإيمان والعدل والسلام بين كل الشعوب المختلفة الألوان واللغات ومن المعروف أن الحروب فى كل زمان ومكان تنتهى بوقوع القتلى والجرحى والاسرى من كلا الجانبين المتحاربين كما حدث فى معركة بلاط الشهداء (بوتيه) حيث أسر الاعداء من جيوش المسلمين وقيادتهم مالا يقل عن ثلاثة آلاف جندى وجد بينهم بعد التحقيق من شخصياتهم عدد غير قليل من

الخبراء فى صناعة الأسلحة والبارود والطب والصيدلة والتمريض والبناء وصنع الأدوات الثقيلة وبناء الجسور وغيرهم من أرباب الفنون والصناعات كما وجد المستشارين من أهل العلم والأدب والتشريع وهكذا سقط بعض الأسرى المسلمين فى معركة بلاط الشهداء حيث لم بقدر لهذه الحملة النجاح وهكذا كانت حملة عبدالرحمن الغافقي على فرنسا ترمي إلى نفس الأهداف وتلقف الأوروبيين الأسرى كغنيمة باردة وراحوا على توال الأيام يستغلون مواهبهم التي كان الفرنجة يتعطشون إلى استغلالها لشدة حاجتهم إليها فقد كانوا غارقين فى بحور مدلهمة من الضلال والفوضى وأصبح هؤلاء الأسرى نواة حركة حضارية وعلمية متقدمة وقد تحدث جوستاف لوبون قائلاً أن انتصار شارل مارتل لم يكن له أهمية كبرى كما يذهب بعض المؤرخين بل أن مارتل أخفق تماماً فى إجلاء العرب عن المدن التي فتحوها بل تقهقر أمامهم تاركاً لهم مافتحوه ولو انتصر العرب لكانت الفرصة لانتشار الحضارة الإسلامية الزاهرة كما انتشرت فى الأندلس فقد كانت ثمار التقدم فى فرنسا وباقي أنحاء أوروبا مثلها كذلك فى الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا لكن فرنسا وأوروبا استفادت من الأسرى المسلمين حيث كان رجال الدين المسيحي أول من تنبه لأمر هؤلاء الأسرى ثم شاركهم فى هذا الشعور جماعة ممن سبق لهم أن اتقوا دراستهم وثقافتهم بالمعاهد العربية الإسلامية فى الأندلس (٩٥-١١٤هـ) تسعة عشر عام ، فالفوا بادئ ذى بدء كتله اسموها باللاتينية مامعناه النواة المركزية راحت تعمل على الاستفادة علمياً وحضارياً وفنياً من هؤلاء الأسرى كما أن الأستاذ أحمد أمين فى كتابه ظهر الإسلام قد تحدث عن موقعة بواتيه فقال : لقد كانت بواتيه موقعه فاصلة بين العرب والمسلمين فى الأندلس والفرنجية فى أوروبا ومن خلفهم، إذ لولا هزيمة المسلمين فى تلك المعركة لفتح المجال أمامهم واسعا للانتشار والتقدم لفتح كل القارة الأوروبية كما كان هو مرسوم منذ عهد موسى بن نصير واستفاد سكان تلك الأقطار المفتوحة بما عليه المسلمين من أخلاق وقيم وتقاليده الإسلامية وحضارة واستفاد سكان أوروبا من تعاليم الإسلام الخالدة وحضارته الزاهرة.

ولانخرط الاوربين في دين الإسلام وتعلموا لغة العرب واطلعوا على علومهم وفنونهم وكان العالم أشبه مايكون بكتلة واحدة ولكن شاء الله أن يقفوا عند هذا الحد ورأى الفرنجة تمجيد شارل مارتل لأنه حماهم من غزو المسلمين واعتقدوا أنه لو انتصر عليهم المسلمين لما كانت النهضة الاوربية والاستقلال الأوروبي ولا علمهم ولا فنههم لاسيما أن معظم جنود شارل مارتل كانوا من البدو الاجلافا؟ شبه عراه رغم بروده الجو وباقي الجند يرتدون جلود الذئاب ويغطون رؤوسهم بشعور ملبده وهذا خير دليل على التخلف الحضاري والحياة البدائية ولقد لعبت عدة عوامل دورا كبيرا في عدم امتداد النفوذ الإسلامى فى فرنسا فقد اقتضت محاولة المسلمين على العبور إلى فرنسا من الأبواب والممرات الشرقيه فى جبال البرت وكان الوحيد الذي عبر من المعابر الغربيه هو عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي ومن هنا لم يركز المسلمون في تلك المناطق وركزوا جهودهم فى جنوب شرق فرنسا ولم يهتموا بالجهات الغربيه التي يسكنها أقوام جيليون اشداه ظلوا شوكه فى جنب المسلمين وكان من الضروري فتح هذه المناطق لتأمين الأراضي الإسلاميه فى الأندلس وفرنسا. كما أن فرنسا كانت تبعد كثيرا عن العاصمة الأمويه فى دمشق مما لايتح الفرصه للقواد العرب للاستفادة من توجهات الخليفة ورجاله وما يبعثون لهم من امدادات عسكريه وعتاد تكون دفعا لحركة المد الإسلامى وكانت حركة المد الإسلامى التى يسعى المسلمون الى تحقيقها في فتح منظم للأقاليم الفرنسيه وادخال فرنسا في رحاب الدوله الإسلاميه العربيه وكانت جهود المسلمين في فرنسا من أمجد جهودهم وكانت تضحياتهم في سبيلها من أغلى ماضحوا به في فتوحاتهم وجهودهم خير شاهد ، واستشهاد العديد من قوادهم في سبيل ذلك شاهد عدل ولولا أن تكاثفت ظروف خارجية وداخلية على حرمانهم من الاستفادة من هذه الجهود لتغير وجه التاريخ الإنسانى فى تلك القارة .

إضافة إلى أن العرب المسلمين لم يلبسوا أن افاقوا من تلك الضربة التى اصابتهم من شارل مارتل أن أخذوا يستردون مراكزهم السابقه وقد أقاموا بفرنسا (مائتي عام بعد ذلك) وثبت إقامة المسلمين في فرنسا فترة تزيد عن قرنين بعد شارل

مارتل، ومن هنا فإن النصر الذى حققه شارل مارتل فى بلاط الشهداء (بواتيه) لم يكن مهما كما زعم المؤرخون ولم يستطع شارل مارتل أن يطرد المسلمين من آية مدينة فتحوها عسكريا بل أنه اضطر إلى التقهقر أمامهم تاركا لهم ما استولوا عليه من البلدان وكانت النتيجة المهمة الوحيدة التي أسفر عنها انتصاره هي أنه جعل المسلمين أقل جرأة فى غزو شمال فرنسا نتيجة مثل هذه وأن كانت كتاباتهم لم تكف لتضخيم أهمية انتصار هذا القائد في بلاط الشهداء (بواتيه).

ذلك لان حاكم مقاطعه مرسلينا ومقاطعه بروفانس سلم للمسلمين حكم البلاد عام ٧٣٧م واستولوا على الأولى ودخلوا مقاطعة سان ترويز عام ٨٨٩م ودامت اقامتهم بمقاطعه بروفانس حتى نهاية القرن العاشر من الميلاد وأوغلوا في مقاطعه الغال وسويسرا عام ٩٣٥م ويرى بعض المؤرخين أنهم بلغوا مدينه ميس وبذلك لم تكن بلاط لشهداء (بواتيه) بالصورة الفاجعة التي صورها المؤرخين الاوربين الذين احاطوها بها له من التقديس والتكريم.

بل أنه مما يدعو للعجب والاستغراب أن يجد المرء بعض كبار المؤرخين فى عالمنا العربى الإسلامى والذين يتبوؤن مكانة عالية علمية اكاديمية وتلقى وسائل الاعلام المسموعة والمرئية الضوء عليهم باستمرار ينساقون وراء كتابات المؤرخين الاوربيين وينقلون عنهم أقوالهم المغرضه التي توضح الإساءه البالغة للإسلام وأهله دون توضيح الهدف أو بيان القصد فتجد مثلا الدكتور أحمد شلبى في كتابه التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج٢ طبع ١٩٦٩م ص١٢٩، ص١٣٠، يقول بالحرف الواحد يجدر بنا أن نلجأ الى جوستاف لوبون ليقرر لنا حقيقه هذه المعارك الفاصلة التي درات ووقعت فى جنوب فرنسا ومدى أهميتها ، يقرر غوستاف لوبون أن العرب استولوا على نصف فرنسا الحالية ولم يكن قصدهم الاستقرار بتلك البلاد وإنما كانت غاراتهم ترمى إلى التخويف وجمع الغنائم ولاحظ أن الكاتب (فرنسي الجنسية) وكان زحف العرب (وليس المسلمين) جارفاً أرعب أصحاب الاقطاع بفرنسا وأرعب شارل مارتل نفسه ويقتبس غوستاف لوبون من المؤرخين الغرب

(دون ذكر المصدر) عبارته تدل على صخب الزحف العربى وهذه العبارة وهى أن كثيرا من سيدات الفرنج اشتكوا إلى شارل مارتل من الأضرار التى أحدثها المسلمون بهم ومن الخزى الذى أصاب أوربا من جراء انهزام جيوشهم أمام العرب فاجاب شارل مارتل قائلا: دعوهم يصنعوا ما يشاؤون فهم الآن كالسيل الذى يأتى على كل ما يعترضه ولكنهم إذا ما أثقلتهم الغنائم وطاب لهم المقام بالبيوت والفوز برفاهية العيش واستحوذ الطمع على قاداتهم ودب الشقاق في صفوفهم ، زحفنا عليهم واثقين من النصر (هذه إساءة بالغه في حق الإسلام والمسلمين لأن الإسلام نشر دعوته ورفع قرآن كريم ولأن المسلمين ليسوا طلاب غنائم ولا قصور ولا نساء ولا طمع ولا شقاق) ويضيف الدكتور قائلا: وصحت نبوة شارل مارتل واتبع هو هذه الخطة التى رسمها فقد انتظر على العرب حتى هدأت ثورتهم وثقلت غنائمهم ودبت المنافسة بينهم ثم قابلهم بجيش كبير ودارت المعارك يوما كاملا (خطأ) لقد دارت أحداث المعركة أكثر من أسبوع بل عشره أيام) ولم تسفر عن نتيجة حاسمة، ودخل الليل وبدأت المعارك تهدأ وحينذاك اقتحمت فرقة من جيش الفرنج معسكر المسلمين وخاف هؤلاء على غنائمهم فارتدوا للدفاع عنها تاركين الميدان وتفقهروا بذلك الجيش العربى وتتبعهم شارل مارتل وأخذ ينهب البلاد التى يمر بها حتى أن أمراء النصارى خافوا رحفه فحالفوا العرب ليتخلصوا منه (ومن الذى كان ينهب ويسلب المسلمين أم الفرنجة لقد كانت الغزوة الاخيرة تشهد على ان المسلمين لم يكونوا يتحركون من أجل السلب والنهب ولكن تلك طباع الفرنجة).

أن عبدالرحمن عبدالله الغافقي كما ذكر عنه ابن شكوال فى كتابه نفع الطيب أنه كان رجلا نقياً ورعاً تقياً سيرته عطره اشتهر بالعدل والمساواة وحبه للجهاد فى سبيل الله كما أنه كان من التابعين وقد ورى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب (فكيف يكون قائد جيش من التابعين الذين تتلمذوا على رسول الله ﷺ يكون سلوك جيشه جمع الغنائم والكنوز وللأسف سار بعض العرب على نهج وفكر الغرب دون فحص أو تدقيق أو تفنيد هذه الأساليب الرخيصة لخداع القارىء العربى والمسلم بعيدا عن الحقيقة التى تصف جند الرسالة الإسلامية طلاب الشهادة أو النصر بأنهم طلاب غنائم وأسلاب ونساء وشهوة وملذات).

وإذا كان الجانب الأوربي يتصور أن أسباب الهزيمة هي حرص المسلمين على
 الأسلاب والغنائم بعد تركهم القتال والانصراف لحماية هذه الكنوز والرد على مثل
 هذه الدعاوى بسيط وسهل وميسر وهو أنه كيف يحمل معهم هذه الغنائم لمسافة
 ١٣٠٠ كيلو متر بعيدا عن العاصمة القرطبية ، ودعنا من المسافة من العاصمة
 بواتيه ولكن كيف يتم حمل هذه الغنائم لمسافة ٤٠٠ كيلو شمال جبال البرت . ألم
 يكن أولى لهم أن يتركوا هذه الغنائم في أى من المدن الكثيرة التى تم فتحها
 والسابق الإشارة إليها لاسيما أن كل مدينه كان يتم ترك حامية إسلامية بها إضافة
 إلى أن هذه الغنائم لم يكن قد تم تقسيمها بين الجنود حتى يحتفظ كل جندي بما
 يستحقه من هذه الكنوز وهنا تسقط دعوى جوستاف لوبون وغيره من كتاب الغرب
 لاسيما أن الجيش الإسلامى يعلم مقدما بناء على تقارير الاستطلاعات العسكرية أنه
 ذاهب لقتال كل أوربا وإنه فى اراضى واسعة وشارل حشد كل مايمكن حشده .
 إن القوات الإسلامية مرت فى طريقها فى اراضى فقيرة جرداء وأهلها معدمون
 لا يملكون كنوز ومجوهرات بل إنهم كانوا يلبسون جلود الحيوانات إلى منتصف
 أقدامهم ونصف أجسامهم عارية ولكن لما كان انتصار بواتيه المحدود هو أول
 انتصار يتحقق لأوربا منذ دخل المسلمون أوربا فى عام ٩٢-١١٤ هـ (اثنين وعشرين
 عاما) فقد يعد ذلك بالنسبة لهم حدثا تاريخيا لم يسبق حدوثه لاسيما أن الذعر قد
 أصاب الجند الفرنجى فى بداية المعركة من جسارة وقوة إيمان المقاتل المسلم وقد
 صورت الكنيسة وrehbanها والبابا جريجوري الثالث ماحدث كأنه يوم القيامة وركز
 عليه الرهبان بأنه أنفذ النصرانية فى ضربة كانت تعد لها وذلك بدوافع صليبية
 وعصبية مدفونه فى القلوب منذ معركة اليرموك فى عهد الخليفة الراشد الثانى عمر
 بن الخطاب لكن بعض الكتاب الأوروبيين المنصفين وقد روا ما جاءت به القيم
 الإسلامية فى الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا وجنوب فرنسا (أقليم بروفانس) قد
 اعتبروا معركة بلاط الشهداء نكبه كبيرة أصابت أوربا وضربة عنيفة حرمتها من
 الحضارة الراقية ومن تحرير الإنسان من نير العبودية والإقطاع والسخرية وحفظ
 كرامته طبقا لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن هنا فإن بلاط الشهداء
 كانت نكسه) كبيرة أصابت أوربا وأخرت تقدمها مثلما شاهد الأوروبيين فى المناطق

السابق الإشارة إليها والتي دخلها الإسلام ، إن جند الفرنجة بانتصارهم في بلاط الشهداء لم يقدموا خيرا لاوروبا لأن شارل مارتل بما حققه قد أخرج القارة الاوربية ومستقبلها الحضاري لأن ما أصابها على يد جند الفرنجة بقيادة شارل مارتل Chakles Martel الذى حشد جيشا ضخما من الفرنج ومن مختلف العشائر الجرمانية المتوحشة والعصابات المرتزقة فيما وراء نهر الراين مع المقاتلة الكثيرة من دول الشمال وأمم كلها دخلت جندا غير منظمين متوحشين نصف عراه . يتسترون بجلود الابقار والذئاب والحيوانات الاخرى لاتستتر إلا عوراتهم وشعورهم المجمدة الطويلة التي تنسدل فوق أكتافهم العارية وكأنهم سكان غابات لم يألّفوا الحياة وتلك كانت حالة هذه الشعوب فى النصف الأول من القرن الثامن الميلادى (٧٣٢م) وقت المعركة فى حين أن اوربا لم تفق من غفلتها إلا فى القرن الخامس عشر الميلادى وبعد المعركة بشمانيه قرون . فكيف كان حال هذه البلاد ومامدى الرقي والتقدم الذى كانت تعيش فيه الحضارة الإسلامية تطل من الأندلس ، أن تقدم القوات الإسلامية وصولا إلى مايقرب من ٢٠ كيلومتر جنوب باريس أو سبعين كيلومتر أو ٣٠ كيلومتر فإن الدولة الإسلامية لو قدر لها أن تقيم نظاما سياسيا وأداريا وتنظيميا مثلما حدث فى الأندلس لتغيرت الصورة الحضارية والثقافة والعملية والفكرية كثيرا عما حدث فى القرن الخامس عشر من نهضة حضارية ذلك ان الحضارة فى الأندلس خير شاهد على دور المسلمين الحضاري وتقول بعض المصادر أن الراى السائد عن تاريخ هذه المعركة أنها بدأت فى ١٢ اكتوبر، ٧٣٢م تسعة أواخر شعبان ١١٤هـ واستمرت حتى يوم ٢٠ اكتوبر من نفس العام بل اوائل أى تسعة أيام لكن رغم ماحدث فى هذه الموقعة فإن ذلك لم يمنع المسلمين من إعادة الكرة مرة أخرى والغزو فى ذلك الاقليم لأن بلاط الشهداء لم تكن إلا معركة مثل طلو شوه أو تور أو لكه أو غيرها فى فرنسا وإذا كان لم يقدر للمسلمين أن يحققوا نصرا حاسما فى تلك المعركة التي دامت مايقرب من عشرة أيام وخسروا بعضا من قواتهم واضطروا إلى الانسحاب المنتظم المدرّوس المتفق عليه والواضح أمام كل جندى دوره فى خطة الانسحاب . فإن ذلك لا يعنى أن المسلمين قد فقدوا الأمل نهائيا فى فتح فرنسا ومحاولة مد الراية الإسلامية مرة أخرى إلى

الشمال أو أن شارل مارتل استطاع زحزحة المسلمين من المدن والحصون والقلاع والاقاليم التي كانوا يسيطرون عليها في أقليم جنوب وشرق فرنسا حيث كانت هذه المناطق قد اتخذت الطابع العربي الإسلامي وبدأت معالم الحكم والاستقرار في تلك الاقاليم الواقعة شمال خط جبال البرانس وظل الإسلام في هذه الاقاليم قرابة مائتي عام أو يزيد وفي ذلك يقول أحد الباحثين الفرنسيين أنفسهم في كتابة Mus-lim Colonies إن الدم العربي لازال متغلبا في جنوب فرنسا ولاسيما في أقليم يرست وغيرها من المدن وفي جبال البرت وفي أقليم السافو إذ لازال نرى إلى اليوم اناسا سحتهم عربية صرفه ولهم لغة خاصة بهم ويسميههم أهل تلك الأرجاء بالشرقيين ولم يزل هؤلاء في عزلة عن الفرنسيين ولا يتزوجون منهم ولكن من جماعاتهم ومن عاداتهم ألا يقيموا المراقص في حفلاتهم وتتجلب معظهم نسائهم وتحمل الكثير من أسمائهم اسم الله ظاهرا كعبد الله أو فتح الله وهم يفتخرون بأنهم في سلالة العرب الفاتحين لهذه الأرجاء والتي خضعت لنفوذ أجدادهم وسيطرتهم في عصر الإسلام الزاهر في القارة الاوربية (شكيب أرسلان تاريخ غزوات العرب مترجم عن جوزيف رينو) ولقد كان المسلمين أكثر ميلا إلى التسامح مع سكان هذه النواحي الجنوبية من فرنسا طعما في كسبهم إلى جانبهم وطعما في اقناعهم باعتراف الدين الإسلامي والخروج من دين الوثنية الذي يعيشون عليه وكانت الحاميات الإسلامية في جنوب فرنسا تسكن في القلاع والابراج التي بنيت لهذا الغرض وذلك لحماية المناطق الواقعة شمال جبال البرت والواقعة تحت سيطرة المد الإسلامي وكانوا يقيمون بإقرار السلم والنظام بين أهل تلك النواحي وأيضا جمع الضرائب والأموال والخراج طبقا لنص الشريعة الإسلامية وقد ترك المسلمون لاهل تلك النواحي في فرنسا حرية ممارسة شعائهم الدينية وعدم اجبارهم على الدخول في الدين الإسلامي لأنه لا اكراه في الدين بل أن كثيرا من سكان تلك النواحي قد دخلوا في دين الإسلام أفواجا بل سكان هذه النواحي قد احبوا المسلمين وتقاتلوا في خدمتهم وكرهوا شارل مارتل وحكمه وساعدوا المسلمين على تدعيم مواقعهم في تلك الأرجاء وقدموا لهم التسهيلات اللازمة . وأنهم دخلوا في الإسلام كافة بل أنهم عملوا على تعلم اللغة العربية ولو طال بقاء المسلمين في

هذه الأرجاء مثل الأندلس لرأينا من بينهم العلماء الفقهاء والباحثين العلميين والفلاسفة ورجال الكيمياء والرياضة والقضاء ورجال الدين الفرنسيين المسلمين كما حدث في الأندلس وهذا يعطى الدليل على أن المسلمين لم يدخلوا فرنسا غزاه ناهبين ولا حكاما طامعين ولا سياسيين محترفين ولم يضعوا الغنائم والأسلاب كل همهم ومقصدهم بل دخلوها أصحاب رسالة وعقيدة عاملين على نشر رسالتهم السمحة وأن المسلمين كان لهم أثر فعال في تمدين الجزء الجنوبي من أرض فرنسا وأنه تحول بسرعة إلى التقدم والحضارة فأزدهرت العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة، بل لم يقتصر فعل المسلمين على ترقية العلوم بما نشروا من معرفة وثقافة وحضارة وأقاموا الجامعات وألفوا كتب في مختلف المعارف الإنسانية التي كان لها الأثر البالغ فى فرنسا ولو بسط المسلمون لواء الإسلام في فرنسا كلها لتغير وجه القارة نهائيا في ذلك الجزء من العالم ولسادت الحضارة الإسلامية في فرنسا بل أن اللغة الفرنسية تأثرت باللغة العربية وأن اللهجات السائدة فى ولايات افرون وليموزين فإن بها كثيرا من الكلمات العربية لاسيما اسماء الأعلام فإنها ذات سمة عربية .